بسم الله الرحمن الرحيم

موطن بني اسرائيل

قرأت كما قرأ غيري بعض الكتابات حول موطن بني إسرائيل مبثوثة على صفحات الإنترنت أو مكتوبة في مؤلفات سارت بها الركبان وتناقلتها الأخبار بين معجب مؤيد ومستاء معترض في جدلية طويلة أثارها من يرى نفسه باحثا مؤهلا ومكتشفا بارعا ومحققا دقيقا بنى فكرته على مقومات رفيعة المستوى وإبداعات غير مسبوقة واكتشافات غفل عنها المفسرون والمحدثون والمؤرخون وغيرهم من علماء كل فن وأساطين كل صنعة رغم تتابع العصور وتعاقب الزمان فأقبلوا علينا مبشرين بأن موطن موسى عليه السلام وبني إسرائيل ليس مصر الكنانة وبلاد الشام بل هو هنا بجوارنا في أرض جيزان الحبيبة مرورا بعسير الغالية وساحل الكرم التهامي ليصل إلى أرضنا المقدسة في مكة المكرمة ورحاب البيت العتيق .

فلا خاب سعيهم ولا كذبت ظنونهم ولا ذهبت جهودهم هباء ولا أراهم الله أموالهم حسرة بعد إنفاقها فهم مجتهدون وعن الحق باحثون ولا يرضون باتباع كل ناعق ولا السير خلف أعداء الإسلام أو التأثر بشبهاتهم الزائفة ولا أكاذيبهم الباطلة وخصوصا ما نبت في آخر الزمان وهو يعارض ما استقر في زمن الرسالة ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم .

ولست بصدد الرد والمحاورة ولا المناقشة أو المناظرة ولكنه تذكير بدلالات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وفهم صحابة رسول الله ﷺ ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم لمن (تغنيه وتكفيه وتشفيه) .

وحتى لا يتشعب الكلام ونغوص في بحر قد لا نحسن السباحة فيه نقتصر الحديث حول جزئية واحدة فقط وهي : هل مصر المعروفة هي المرادة في القرآن ؟ .

يقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ .

ويقول تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ويقول تعالى : ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

هذه الأدلة تشير إشارة واضحة لمصر المعروفة لأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب يخاطبهم بما يفهمون وما يعهدون .

هل يعقل أن اسم مكان يتكرر خمس مرات في القرآن الكريم صراحة وأكثر من خمس وعشرين مرة تلميحا ويراد به غير ظاهره ولا يلفت هذا انتباه النبي ﷺ فينبه الصحابة ﷺ ولو مرة واحدة ؟ .

هل يعقل أن بلدا دارت عليه أحداث أغلب حياة يوسف وأغلب حياة موسى عليهما السلام ويظل خافيا على المسلمين ألفا وأربعمئة سنة (إذا قيل هذا فلتكسر الأقلام ولا نامت أعين الجهلاء) .

كلمة مصر ممنوعة من الصرف لسببين معروفين التأنيث والعلمية وعلميتها تشير لبقعة معروفة معهودة لا تتجاوز مصر فرعون أو مصر القبط .

لماذا أجمع الصحابة ﷺ والمفسرون رحمهم الله على أن كلمة مصر إذا وردت منونة فقد يراد بها مصر المعروفة وقد يراد بها بلد آخر (اهْبِطُوا مِصْرًا) أما إذا منعت من الصرف ولم تنون فلا يراد بها إلا مصر المعروفة (إجماع على الخلاف وإجماع على الاتفاق) .

وهذا الفهم هو الذي فهمه نبينا ﷺ صراحة ووردت الأحاديث الصحيحة تدل بمنطوقها دلالة واضحة على نفس المفهوم الذي لا يدع مجالا للشك ولا للريب .

عن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما أو قال ذمة وصهرا فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة فاخرج منها قال فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة فخرجت منها) .

صحيح مسلم (٢٥٤٣)، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر .

وقال رسول الله ﷺ : (اللهَ اللهَ فِي قِبْطِ مِصْرَ ، فَإِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ عِدَّةً ، وَأَعْوَانًا فِي سَبِيلِ اللهِ) . رواه الطبراني في " المعجم الكبير" (٥٦١) عن أم سلمة ﷺ مرفوعا ، وصححه الألباني في " الصحيحة " (٣١١٣) .

وقال رسول الله ﷺ : (إِذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرًا فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا) . رواه الحاكم في " المستدرك " (٤٠٣٢) عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ مرفوعا ، وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٣٧٤) .

أما الآثار عن الصحابة ﭫ التي تدل على أنهم لا يفهمون ولا يقصدون في كلامهم ـ في زمن النبي ﷺ وبعده ـ إلا مصر المعروفة فكثيرة جدا منها الحديث الأول فإن أبا ذر ﭫ كان في مصر حتى رأى عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة فخرج منها ﭫ عملا بوصية النبي ﷺ .

وهذا عبد الرحمن بن شماسة رحمه الله جاء لعائشة ﭫ فأخبرها أنه من أهل مصر فما سألته ولا ناقشته في قصده بكلمة مصر قال أتيت عائشة ﭫ أسألها عن شيء فقالت ممن أنت فقلت رجل من أهل مصر فقالت كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه فقال ما نقمنا منه شيئا إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير والعبد فيعطيه العبد ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة فقالت أما إنه لا يمنعني الذي فعل في مُحَمَّد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به . صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم .

وعلى هذا النهج سار سلفنا رحمهم الله ينقله اللاحق عن السابق بفهم واضح وقبول صريح ولم يرد ولا مرة واحدة قول أحد منهم أن (مصر هي جيزان) وإذا بطل المنطلق زمانا ومكانا وهدمت القاعدة استشهادا واستدلالا انهدم البناء كله إلا بقايا من شبهات لا يتسع لها إلا قلب رضي بمزاحمة فهم النبي ﷺ وفهم صحابته ﭫ وفهم سلفنا رحمهم الله .

أمين بن حامد الخرش الغامدي